الأطماع الصهيونية في فلسطين نهاية القرن 19م

Zionist Ambitions in Palestine at the End of the Nineteenth Century

أ.د. علي عيادة*

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

ali.ayad@univ-biskra.dz

ط. شيماء رميلي

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

ط. وئام سليماني

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2026/02/29 تاريخ القبول: 2026/03/14

الملخص:

شهدت نهاية القرن التاسع عشر بداية تبلور المشروع الصهيوني كحركة سياسية تهدف إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين مستغلة ضعف الدولة العثمانية وتنامي الدعم الأوروبي خاصة البريطاني، وقد ظهرت هذه الأطماع بشكل واضح من خلال أنشطة الحركة الصهيونية ومؤتمراتها وعلى رأسها مؤتمر بازل عام 1897 بقيادة "تيودور هرتزل" (Theodor Herzl)، الذي أعلن صراحة أن الهدف هو "إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين بضمانة دولية"، وبدأت الهجرة اليهودية المنظمة إلى

* المؤلف المرسل.

فلسطين ورافقتها شراء الأراضي من قبل المنظمات الصهيونية مثل: "صندوق استيطان اليهود" و"الصندوق القومي اليهودي"، وكان العرب في فلسطين على وعي جزئي بهذه المخططات لكن الضعف السياسي وغياب التنظيم الفعال حال دون التصدي المبكر للخطر المحدق.

الكلمات المفتاحية: تيودورهيرتزل، الصهيونية، عبد الحميد الثاني، الكيان الصهيوني.

Abstract:

The late 19th century marked the beginning of the crystallization of the Zionist project as a political movement aimed at est. abolishing a national homeland for the Jews in Palestine, taking advantage of the weakness of the ottoman Empire and the growing European-particularly British support for the Zionist idea these ambitions became clearly evident through the activities of Zionist movement and its conferences ,most mutably the first Zionist congress held in Basel in 1997 under the leadership of Theodor Herzl who openly declared that the goal was toast a national home for the Jewish people in Palestine under international guarantors¨ organized Jewish immigration to Palestine beg arm, accompanied by land , surpasses by Zionist organizations such as the Jewish colonization association and the Jewish national fund , which paved the way for a significant Jewish pale stain land.

The Arabs in Palestine partially aware of these plans, bat political wearers and the absence of effedue organization parented an early response to the imminent threat.

Keywords: Theodor Herzl, Zionism, Abd Lhamid II, The Zionist entity.

مقدمة

تعتبر الصهيونية حركة عنصرية استعمارية نادت بحلول انعزالية لما أسمته "المشكلة اليهودية" لأنها عارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية، دفعتهم للهجرة إلى فلسطين زاعمة أن لهم فيها حقوقا تاريخية وسياسية ودينية، وفي أواخر القرن التاسع عشر التقت الأهداف الصهيونية بأهداف التوسع

الاستعماري الأوروبي، فشهدت نهاية القرن التاسع عشر تصاعدا في الأطماع الصهيونية تجاه فلسطين، في ظل التحولات السياسية والاجتماعية التي كانت تمر بها أوروبا والعالم، فقد تزامن ذلك مع ضعف الدولة العثمانية وتزايد التدخلات الأجنبية في أراضيها، إلى جانب تصاعد النزعة الاستعمارية في أوروبا، فوجدت الحركة الصهيونية في فلسطين موقعا استراتيجيا ودينيا مناسبا لمشروعها، فبدأت بالتخطيط مما شكل تهديدا مباشرا للوجود العربي في فلسطين، وتمثل هذه الفترة بداية تنفيذ المشروع الصهيوني الذي سيأخذ أبعادا خطيرة في العقود اللاحقة.

وعليه نطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى نجحت الحركة الصهيونية في استغلال الأوضاع العالمية لتحقيق موطئ قدم لها في فلسطين أواخر القرن التاسع عشر ميلادي؟ .

أولا: أوضاع فلسطين نهاية القرن 19 م:

مع نهاية القرن التاسع عشر كانت فلسطين جزءا من الإمبراطورية العثمانية (1)، فقد وصل السلطان عبد الحميد الثاني للحكم عام 1876 م، وكان الوضع صعبا جدا، حيث كانت الدولة العثمانية على حافة الانهيار والحقيقة التاريخية التي لامجال للشك فيها، أن عبد الحميد أشهر سلاطين آل عثمان لم ينصع لإغراءات اليهود وضغوط الدول الاستعمارية بمنحهم أي شبر من أرض فلسطين(2)، فبعد عمليات إعادة التنظيم الإداري تم تقسيم المنطقة إلى ثلاث وحدات:

- سنجق القدس وتمت إدارته من اسطنبول مباشرة.
- سنجق نابلس وعكا في الشمال ويرتبطان إداريا ببيروت(3).

وكانت الصهيونية في ذلك الحين تتبلور في أوروبا وعلى الوجه الخصوص في أوروبا الشرقية، وكانوا يبحثون عن أرض يمكن الاستيلاء عليها لإقامة الدولة اليهودية فبدت لهم فلسطين المكان الأمثل فاتخذت الإدارة العثمانية بعض التدابير الوقائية لمنعهم:

1- فرض الوثيقة الحمراء عام 1887وهي وثيقة مؤقتة تعطى لليهودي القادم إلى فلسطين، مع احتفاظ السلطان بجواز سفره لضمان خروجه بعد ثلاثة شهور في أقصى تقدير.
2- أصدرت الحكومة العثمانية قرارا عام 1898 يحضر إسكان اليهود المهاجرين من الدول الأجنبية في فلسطين والمناطق المجاورة لها.

بالرغم من كل هذه الإجراءات المتشددة للحفاظ على فلسطين، استطاع بعض اليهود التسلل إلى فلسطين بمساعدة بعض القناصل الأوروبيين في فلسطين وقبول بعض الموظفين العثمانيين الرشاوى(4).

ثانيا: التطور التاريخي للحركة الصهيونية

1- مفهوم الحركة الصهيونية:

تنتسب إلى صهيون أحد التلال القائمة عليه ببيت المقدس والذي كان علما للمدينة ثم أصبح مرادفا إلى فلسطين، فالصهيونية حركة يهودية غرضها الأجلّ الرجوع إلى فلسطين لجمع شتات شعب اليهود المبذور بين جميع الأجناس والطوائف وفي كل بقاع الأرض، وهي منطوية على مبادئ اقتصادية وسياسية ودينية5.

جاء في المجلد الثاني عشر من الأنسيكلوبيديا(6) اليهودية في الصفحة 666 تحت عنوان "زيونزم" (zionism) أو الصهيونية، أنها حركة ترمي إلى عزل الشعب اليهودي على قواعد ملّيّة إلى وطن خاص بهم، وتشير على الأخص إلى شكل الحركة الجديدة التي تتطلب وطنا لليهود في فلسطين، معترفا به اعترافا عموميا، ومؤمَّنًا تأمينا شرعيا بحسب القاعدة التي أسسها "تيودور هرتزل" سنة 1896(7)، والصهيونيون أو الصهاينة من أبرع الطوائف في أساليب الدعاية السياسة، ولعلهم قد ورثوا هذه البراعة من أسلافهم العبريين8.

والدارس لتاريخ العالم يجد نفسه محاطا بمجموعة من التفاسير المتنوعة والمختلفة حول الصهيونية، فمنهم من يرجع المعنى إلى أحد التلال أي جبل صهيون بفلسطين ومنهم من يردها إلى العربية فيعتبرها مأخوذة من الحفظ والصون ويستدل في ذلك إلى عدم وجود أصل لها في العبرية(9).

2- نشأة الحركة الصهيونية وأهدافها:

ظهرت هذه من أجل الدعوة لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، بيد أن الفكرة الصهيونية السياسية لم تأخذ في شق طريقها إلا بعد أن فشلت الأفكار الليبرالية التي قادت بها الثورة الفرنسية في فرض مبادئ الإخاء والمساواة على المجتمعات الأوروبية فعلى الرغم من النجاح الهائل الذي أحرزته عائلة "روتشيلد" (Rothschild Edmond de) (10) في عالم المال وعلى الرغم من الزعامة ديزرائيلي (يهودي تنصر ولكنه ظل يفتخر بيهوديته)، فجاءت الفكرة الصهيونية كتعبير عن فقدان الأصل بقيام مجتمعات أوروبية تحررية عادلة قادرة على استيعاب اليهود اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا.

وكاستجابة لرغبة الدول الاستعمارية الكبرى في استخدام الجاليات اليهودية لأغراض استعمار الشعوب المتخلفة وفي مطلع ستينيات القرن التاسع عشر أخذ بعض المفكرين اليهود في الدعوة إلى العمل من أجل العودة إلى فلسطين واستعمارها، وكان أولهما االحاخام "هيرش كاليشر" (Hirch Kalis cher) (1795-1874) (11) وذلك في كتابه "البحث عن صهيون" الصادر عام 1861 وكانت نتيجة جهود "كالشير" أنه أسس أول جمعية صهيونية في ألمانيا وفي العام التالي قام "موسى هس" (Moses hess) (1712-1875) بنشر كتابه "روما والقدس" الذي نادي فيه بإقامة دولة يهودية في فلسطين أملا أن تلقى فكرته الدعم من فرنسا نظرا إلى أنها كانت تعمل حينذاك على شق السويس(12).

أما معاصرهما "دافيد أوركهارت" (David Urquhart) (1726 -1886) فقد نادى بما أسماه دين العمل مشددا على أهمية استعمار اليهود لفلسطين والعمل اليدوي لتحويل اليهود إلى أمة كغيرها من الأمم، لكن الصهيونية بقيت مع ذلك فكرة معزولة عن جماهير اليهود حتى عام 1881 عندما اضطرت أعدادا ضخمة منهم إلى النزوح عن روسيا على أثر المجازر التي وقعت ضدهم إثر اغتيال القيصر الروسي "ألكسندر الثاني" (Alexander II).

كان من نتائج المجازر انهيار الحركة الاندماجية اليهودية Hask alah وقيام صهيونية محلية مكانها باسم "حب صهيون" (Hibbath Zion) ولاسيما في مراكز التجمع السكاني اليهودي، وقد طرحت هذه الجمعيات مسألة استيطان اليهود لفلسطين كاحتمال عملي، كما درست إحياء اللغة العبرية لتصبح لغة غالبية اليهود عوضا عن اليديشية(13)، فاقتصرت محاولات إيجاد مجتمعات ومستعمرات زراعية يهودية في فلسطين قبل عام 1882 على مؤسسات ذات طابع خيري برعاية الماليين اليهود مثل "المؤسسة العبرية لاستعمار الأرض المقدسة"، وسرعان ما واجه رواد الاستعمار الصهيوني في فلسطين مشاكل شائكة لم تكن في حسبانهم فقد كانوا يجهلون تماما أساليب الزراعة بالإضافة إلى عدم تعودهم على المناخ والجو وصعوبة المعيشة في مناطق انتشرت فيها أمراض الملا ريا وقلت فيها مياه الشرب وغيرها، ولولا تدخل المالي اليهودي الكبير البارون "إدموند دي روتشيلد " (1845-1934) لإنقاذهم لكان مصير الرواد والمستعمرات الأولى الفشل التام والانهيار الكامل(14).

3- أهداف الحركة الصهيونية:

من المعلوم أن الصهيونية حركة يهودية خالصة، أما أهدافها فهي أهداف سياسية دينية وتلك الأهداف تتلخص فيما:

1- إثارة الحماس الديني لدى أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة.
2- هدم الأديان لإعلاء اليهودية التلموذية .
3- حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية، والعبادات، والشعائراليهودية، والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.
4- إثارة الروح القتالية، والعصبية الدينية والقومية لدى اليهود، لتصدي الأديان والأمم والشعوب الأخرى.
5- تزييف التاريخ لإدعاء بوعد فلسطين .
6- محاولة تهويد فلسطين، وذلك بتشجيع الهجرة من سائر أقطار العالم إلى فلسطين.
7- توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع أنحاء العالم أفرادا، أو جماعات ومؤسسات وتحريك العملاء، والمأجورين عند الحاجة لخدمة اليهود، وتحقيق مصالحهم ومخططاتهم.
8- تطوير اللغة العبرية والثقافة العبرية(15).

ثالثا: مظاهر الإطماع الصهيونية في فلسطين والمو اقف منها

01- بداية ظهور الأطماع الصهيونية:

1-1 : هجرات اليهود إلى فلسطين: مثلت هجرات اليهود الأولى اللبنة الأساسية لبناء الوطن القومي اليهودي(16)، فكان هدفها منذ البداية تهجير يهود العالم وتجميعهم في فلسطين لإقامة دولة لهم، وبالفعل نجحت الحركة الصهيونية في نقل مئات الآلاف من المهاجرين اليهود لاستيطان في فلسطين في دفعات، فانطلاق الهجرة اليهودية الأولى كانت تحت دافع سياسي بعد اغتيال قيصر روسيا ألكسندر الثاني عام 1881، واتهام اليهود بذلك فحصلت المذابح القيصرية ضد اليهود وتفجرت المشكلة اليهودية وظهرت الموجات المعادية للسامية التي تعرض لها اليهود وعلى إثرها بدأت الهجرة اليهودية الأولى من روسيا ورومانيا بسبب الاضطهاد الذي كان يعاني منه اليهود فتكونت الهجرة من دفعتين(17):

الدفعة من إلى 1882م - 1884م : اقتصرت هذه الدفعة على العائلات فقط، وهاجر أغلبهم إلى الولايات المتحدة، ولم يصل إلى فلسطين إلا 02 % من المهاجرين اليهود وهم قرابة 400

مهاجرا، واللافت للنظر أن الدولة العثمانية نظرت إلى طلائع المهاجرين هذه بعين الريبة على الرغم من ضآلة عددها، وذلك لأنها قادمة من روسيا عدوها اللدود، من أبرز مستعمراتها: "ريشونليشون" و"رش بيناه" و"زخر" و"نيعقوف"، و"بتاج تكفاه"، وفي 28 نيسان/أبريل 1892 أبلغت الدولة العثمانية جميع اليهود الراغبين في الهجرة إليها بأنه يحق لهم بالهجرة إلى المقاطعات الأخرى من الدولة العثمانية والسكن حسب رغبتهم، لكن من دون السماح لهم بالاستيطان في فلسطين.

بلغ عدد المستعمرات خلال الهجرة الأولى عشرين مستعمرة زراعية تعرف بالكيبوتس، سكنها 720 عائلة تؤلف 6000 نسمة، كان المهاجرون اليهود خلالها يلجأون إلى المزارعين العرب الأكفاء بعد أن فشلوا زراعيًا، وفي عام 1870 أسّس اليهود أوّل مدرسة زراعية باسم «مكفيه يسرائيل»، وفي عام 1899 قدمت مجموعة من يهود رومانيا يفوق عددها المئتين وخصّص الباب العالي لهم أراضي ليستقروا فيها.

الدفعة الثانية خلال خلال سنتي 1890-1891 وكانت الهجرة هذه المرة للعائلات اليهودية أيضا، إضافة إلى فئة من شباب "البيلو"، وهم أصحاب عقيدة تربط بين الإصلاح الاشتراكي وتحقيق الوطنية، غير أنهم كانوا عديمي الخبرة بالزراعة وأدت الدفعة الثانية من الهجرة إلى إنشاء المزيد من المستعمرات(18)، إن غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي بفلسطين يضمنه القانون(19).

تميزت هذه الهجرة التي انطلقت من أوروبا الشرقية، بتعدد الفئات الموجودة المهاجرة، إذ لم تكن كلها كالهجرة السابقة من المواطنين البسطاء الهاربين من الاضطهاد بل كان أغلب المهاجرين هذه المرة من أبناء الطبقة الوسطى الذي حركتهم الصهيونية العالمية، وقد حملوا معهم الأفكار الليبرالية والعلمانية وكان لهؤلاء الفضل في تأسيس دعائم الدولة اليهودية، فقد كان من ضمنهم مثلا "بن غور يون" أول رئيس وزراء صهيوني(20).

2-1: بيع الأراضي لليهود و إقامة لليهود و إقامة المستوطنات: لم يتضمن قانون الأراضي في الدولة العثمانية مع بداية الهجرات اليهودية المؤرخ عام 1868م أي 1867 م أي بنود من شأنها منع شراء اليهود لأراضي في فلسطين وتملكها، فاتبع اليهود طريقة لشراء الأراضي من أيدي الشعب عن طريق اقتراضهم وأخذ الأرض هنا بعد ذلك حتى أنهم أسسوا مصرفا في انجلترا لإقراض الأموال، من أجل وهن أراضي الشعب وأملاكهم بعد أن انشغلوا بالزراعة(21).

في عام 1883 م صدر قانون ينص حق شراء الأملاك على اليهود العثمانيين فقط واشترط أن يحصل الأجانب والذين غيروا جنسيتهم على إذن من الحكومة العثمانية قبل شراء الأراضي، كما استخدم اليهود أنواع الحيل للاستقرار في فلسطين، واستخدموا أسماء مزيفة باعتبارها وسيلة لشراء الأراضي، كما قدموا الرشاوى الموظفين المحليين مستخدمين في ذلك سطوة المال وطلبوا العون من اليهود الذين كانوا يقيمون في فلسطين من قبل، وصل عدد المستوطنات التي أقامها اليهود في أواخر حكم السلطان عبد الحميد الثاني إلى 33 مستوطنة أقيمت على مساحة واسعة من الأراضي فمثلا وصلت مساحة الأراضي التي اشتراها في عشر سنوات إلى 850000 بشكل ولما ارتفعت مساحة الأراضي التي حصل عليها اليهود في فلسطين، بشكل فاق الأراضي المفيدة هناك مثل مكيفه إسرائيل(1980) في الضفة الغربية، تتاك، تكوا، روش بيناه ...الخ .(22)

2- أعمال ونشاط الصهاينة في فلسطين

عكست المؤتمرات الصهيونية القضايا والمسائل التي أشغلت بال وفكر الصهاينة في نهاية القرن 19م ومابعده، وأما اهتمامات مؤسس المؤتمر الصهيوني والمنظمة الصهيونية العالمية "تيودورهرتزل"، فكانت منصبة حول تأسيس أو التنظيم القومي اليهودي في العصر الحديث .

2-1- مؤتمرات الحركة الصهيونية

المؤتمر الصهيوني الأول "بازل" 1897: انعقد المؤتمر أول يوم 29_31 أوت 1897 في مدينة بازل السويسرية حضره 204 مندوبا عن 15 بلدا كان ثلثهم من روسيا وانتخب هرتزل رئيسا له أسس المنظمة الصهيونية العالمية ووضع برنامج لها عرف ببرنامج بازل، كما حدد المؤتمر الهدف الذي يجب العمل من أجل تحقيقه من خلال مقولة التالية :"**خلق وطن قومي يهودي في فلسطين يضمنه القانون العام**"(23).

خرج المؤتمر بقرارين: أولها علني وهو تأسيس الدولة اليهودية وقال يومها هرتزل: "**يمكني أن أقول لكم ربما تضحكون على أن الدولة اليهودية ستقوم على مدى خمسين عاما**" وثانيها سري هو مقررات حكماء صهيون(24).

كما أقر شكل العلم الصهيوني والنشيد القومي اليهودي ومنح العضوية لكل يهودي في العالم يلتزم ببرنامج بازل ويدفع اشتراكا سنويا، وبحث الحاضرون عن الوسائل التي تمكنهم من إنشاء وطني

قومي لليهود فقرروا إحياءالأداب العبرانية ونشرها، إنشاء مدارس لتعليم اللغة العبرانية، إنشاء مالية مشتركة لليهود(25).

تميز هذا المؤتمر بحضور تيارين:

- الأول يمثل جماعة محبي صهيون والذين يريدون تأسيس وطن قومي في فلسطين على أساس القانون العام.

- الثاني أنصار الدولة الصهيونية الذين يريدون دولة يهودية في فلسطين أو غيرها.

المؤتمر الصهيوني الثالث: عقد في بازل من 15- 18 آب 1899 وناقش مشروع بازل الذي تقدم به "هرتزل" في المؤتمر الأول.

عرض هرتزل تقريراً عن نتائج اتصالاته مع القيصر الألماني في إستنبول وفلسطين، وهي الاتصالات التي عرض فيها خدمات الحركة الصهيونية الاقتصادية والسياسية على الإمبريالية الألمانية الصاعدة في ذلك الوقت مقابل أن يتبنى الإمبراطور المشروع الصهيوني.

كما طالب المؤتمر بتأسيس المصرف اليهودي تحت اسم «صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار»، وذلك لتمويل الأنشطة الاستيطانية الصهيونية وتوفير الدعم المالي للحركة الصهيونية.

ناقش أيضا المؤتمر قضية النشاط الثقافي اليهودي في العالم، وتناول مسألة إعادة بناء الجهاز الإداري الدائم للحركة الصهيونية ليحل محلها الجهاز المؤقت.

المؤتمر الصهيوني الرابع: عقد في لندن ما بين 13_16_أوت 1900م وناقش وضع اليهود في رومانيا، وأيضا الضائقة التي كان يعاني منها العمال اليهود في فلسطين وانتشار البطالة في فلسطين، وترك الكثيرين من اليهود مستوطناتهم والانتقال إلى مواقع أخرى من فلسطين أو مغادرتها إلى الخارج، وجرى اختيار العاصمة البريطانية مقراً لانعقاد المؤتمر نظراً لإدراك قادة الحركة الصهيونية في ذلك الوقت تعاظُم مصالح بريطانيا في المنطقة، ومن ثم فقد استهدفوا الحصول على تأييد بريطانيا لأهداف الصهيونية، وتعريف الرأي العام البريطاني بأهداف حركتهم.

وبالفعل، طُرحت مسألة بث الدعاية الصهيونية كإحدى المسائل الأساسية في جدول أعمال المؤتمر، وشهد هذا المؤتمر . الذي حضره ما يزيد على 400 مندوبا، اشتداد حدة النزاع بين التيارات الدينية والتيارات العلمانية، وذلك عندما طُرحت المسائل الثقافية والروحية للمناقشة، إذ طالب بعض الحاخامات بألا تتعرض المنظمة الصهيونية للخوض في القضايا الدينية والثقافية اليهودية،

وأن تقصر عملها على النشاط السياسي وخدمة الاستيطان اليهودي في فلسطين .وإزاء ذلك، دعا هرتزل الجميع إلى نبذ الخلافات جانباً والتركيز على الأهداف المشتركة، وطرحت في هذا المؤتمر مسالة تأسيس "الكريت كييمت" الصندوق القومي اليهودي على يد "تسفي هيرش شابيرا" (Zvi hirsch kalischer)26.

2-2- الجمعيات الصهيونية:

حالوقا:أسس هذاالصندوق من اجل مساعدة اليهود في فلسطين وكان يهدف إلى جمع المساعدات من كافة الجمعيات اليهودية في كل بقعة من العالم من اجل مساعدة اليهود في فلسطين وكانت تجمع بشكل منظم عن طريق موضفين معنيين بهذا الأمر.

منظمة الاتحاد الإسرائيليAIU: أسست في باريس عام 1860 من أجل استقلال اليهود وتعليمهم والنهوض بهم، كانت هذه المنظمة مركزا للتكافل والترابط الديني والرقي الروحي، وكانت حائط الدفاع الأول عن كل مضطهد لكونه يهوديا، أنشأت هذه المنظمة في اسطنبول ما بين 1864_1908م إحدى عشرة مدرسة منها ست للبنين وخمس للبنات، ومنذ نشأتها في عام 1860م حملت هذه المنظمة الأليانس على عاتقها تعليم الشباب والأطفال من اليهود الشرقيين من المغرب حتى إيران وتربيتهم، خلال الحرب العالمية أشرفت هذه الجمعية على تربية وتعليم 43 ألف طالبا في 183 مدرسة.(27)

جمعية محبي صهيون: أسست عام 1881م على إثر الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في روسيا، أسسها "يهوذا لايب بنسكر" (Yehouda Leib Pinsker) الذي ولد في مدينة أوديسا الروسية وكان يؤمن بوجوب الاستيطان في فلسطين وأنه إذا استطاع أن يوضح للدول الأوربية حق اليهود في إقامة وطن قومي لهم فإن الغرب سيدعم الصهيونية ويساندها، أسست الجماعات اليهودية التي تتبنى هذه الأفكار كثيرا من فروع جمعية محبي صهيون في أماكن عدة، إذ كان عدد هذه المقرات التي أنشأت في أوروبا الشرقية وروسيا ما بين 1882-1883 م إثني عشر فرعا، ثم زاد هذا العدد حتى وصل إلى 138 مقرا جديدا للجمعية ما بين 1889-1890م.

اتحاد المستعمرات اليهودية: أسس عام 1891م على يد "هرتش" بهدف إنشاء مستعمرات لليهود في الأرجنتين ومناطق أخرى.

الاتحاد اليهودي الانجليزي: أسس بهدف تقديم مساعدة اليهود وتقديم الدعم لهم وكان له نشاط فعال في المجال السياسي.

المنظمة الصهيونية العالمية: ظهرت فكرة الصهيونية على يد "هرتزل" وشهدت تطورا كبيرا خلال القرن 19م، وكانت تهدف إلى إقامة اليهود في فلسطين من خلال كافة المنظمات الصهيونية.

جمعية حماية حقوق المرأة اليهودية: كانت هذه الجمعيات تعمل على توطين اليهود في فلسطين متذرعة بحجة إنشاء مؤسسات خدمة نافعة كالمستشفيات والمدارس.28

رابعا: المو اقف وردود الفعل من الأطماع الصهيونية

01- موقف الفلسطينيين والعرب: بدأ الوعي القومي العربي منذ فترة مبكرة خاصة بعد انتشار أفكار الثورة الفرنسية مع احتلال نابليون للمنطقة، وكانت الجمعية السورية العلمية التي تأسست سنة 1868 م أول حركة قومية سرية ظهرت في عام 1785م وهي أول من أطلقت شعار "**تنبهوا استفيقوا أيها العرب**"، وبلغ درجة كبيرة من الوعي ونشاط الحركة العربية أن مارست نشاطا يدعو إلى التحرر واليقظة، تخلل ذلك عقد الاجتماعات وتوزيع المنشورات، وقد شعر الفلاح الفلسطيني بخطوره هذه القوى الإقطاعية ولكنه لم يكن قادرا على استرداد أراضيه أو شرائها نظرا لأوضاعه الاقتصادية المزرية، ومن الملاحظ أن وعي الفلاح الفلسطيني ويقظته للخطر الصهيوني لم يكن نتيجة لثقافته أو دراساته ولكن جاء نتيجة عملية حتمية للأخطار التي لمسها الفلاح بعد السيطرة على مصدر رزقه وسلب أرضه، وتعترف المصادر الصهيونية بأن المهاجرين اليهود ارتكبوا أخطاء ضد الفلاحين العرب وأتيحوا أساليب الرشوة لشراء الأراضي، إن الهجرة اليهودية لم تشكل خطرا على الفلاحين فحسب، وإنما شكلت خطرا اقتصاديا على الطبقة العاملة الصناعية وبذلك يكون الاستعمار الاستيطاني الصهيوني منذ البداية معاديا لا للإقطاعيين العرب كما يدعي زعماء الصهيونية بل الفلاحين والعمال العرب.29

02- الدولة العثمانية: سجلت الدولة العثمانية ممثلة بالسلطان عبد الحميد الثاني أول موقف رسمي لها معلنا من الهجرة إلى فلسطين في أفريل 1882م بعد تزايد أعداد المهاجرون اليهود من أوروبا الشرقية إليها، إذ أعلنت انه لن يسمح لليهود المهاجرين إلى أراضيها بالاستقرار في فلسطين بل يمكنهم أن يهاجروا إلى داخل أي ولاية عثمانية أخرى، وأن يستقروا فيها كما يريدون بشرط أن يصبحوا رعايا عثمانيين وأن يقبلوا فرمانات الإمبراطورية العثمانية عليهم .

وفي 29 جوان 1822م قامت الدولة العثمانية بتنفيذ قرار منع الهجرة إلى فلسطين بأن أبرقت إلى متصرف القدس تطلب منه عدم السماح لليهود الذين يحملون جنسيات كل من روسيا ورومانيا بالاستقرار في فلسطين كونهم غير مرحب بهم، كما اتخذت الإجراءات ذاتها في اللاذقية، بيروت، حيفا.

وفي نفس العام صدر قرار بمنع بناء مستعمرات لليهود الروس في فلسطين، قدمت الدولة العثمانية كثيرا من التبريرات لتوضيح قرار منع الهجرة لكن السببين الرئيسيين الذين دفعا الحكومة العثمانية إلى اتخاذ القرار هما:

- الخوف الذي لازم السلطان عبد الحميد الثاني من احتمال ظهور مشكلة القومية في أراضيها.
- التدخل المتزايد الذي مارسته الدول الأجنبية في الشؤون الداخلية للدول العثمانية بحجة رعايا مصالحها الذين يطلبون المساعدة بشكل متواصل.30

الخاتمة

على ضوء ما سبق، يمكن الاستنتاج أن فترة القرن التاسع عشر تميزت باضطهاد الأوروبيين للأقليات اليهودية، مما اضطر أكثريتهم إلى تغيير أماكن إقامتهم وأجبروا على البحث عن مكان جديد لهم في العالم، وعن مركز جديد في المجتمع، حيث أن الأطماع الصهيونية في فلسطين مع نهاية هذا القرن لم تكن مجرد طموحات دينية أو فكرية، بل مشروعا استعماريا منظما استند إلى أسس سياسية واقتصادية وإستراتيجية واضحة، فقد سعت الحركة الصهيونية بدعم من القوى الاستعمارية الأوروبية إلى تحويل الفكرة الدينية العودة إلى صهيون إلى مشروع عملي يقوم على الاستيطان التدريجي وشراء الأراضي وإقامة المؤسسات اليهودية في فلسطين، كما مثل تأسيس الجمعيات الصهيونية مثل محبي صهيون وظهور كتاب الدولة اليهودية لهرتزل سنة 1896 تطورا نوعيا في مسار هذا المشروع.

وبذلك شكلت نهاية القرن التاسع عشر مرحلة التحضير الفعلي لاغتصاب فلسطين، وأسست للمرحلة اللاحقة التي توجت بإقامة الكيان الصهيوني سنة 1948، وتظهر هذه الحقبة أن الصهيونية كانت حركة استعمارية متكاملة الأبعاد، اعتمدت على الفكر القومي اليهودي وعلى التحالف مع القوى الإمبريالية لتحقيق أهدافها في قلب المشرق العربي.

الهوامش:

1- إسماعيل أحمد ياغي، الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، دار المريخ، الرياض، 1983، ص25.

2- ماهر الشريف، عصام نصار، تاريخ الفلسطينيين وحركتهم الوطنية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2018، ص 13.

3- حسان علي الحلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 –1909، جامعة بيروت العربية، بيروت، 1987، ص 68.

4- إسلام شحدة العالول، محطات فاصلة في تاريخ فلسطين القديم والحديث، ط 1، دار المشكاة للنشر والتوزيع، عمان، 2019، ص ص 58 59 .

5- عمر الصالح البرغوثي، خليل طوطح، تاريخ فلسطين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001، ص 263.

6- هي أساس فكرة عودة اليهود إلى فلسطين، ترتكز على عدة أقوال وردت في الكتاب المقدس، وهذه تدل أن التشتيت كان زمنيا ولكن تأتي أيام يرد الله سبي شعبه إسرائيل فيقيمون مدنهم الخربة ويسكنون فيها ويغرسون كروما ويشربون خمورها... ينظر: نجيب نصار، الصهيونية: ملخص تاريخها، غاياتها وامتدادها حتى سنة 1905، مطبعة الكرمل، حيفا، 1936، ص 05 وما بعدها.

7- نفسه، ص 04.

8- عباس محمود العقاد، الصهيونية وقضية فلسطين، تح: الحساني حسن عبد الله، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1956، ص 25.

9- بن موسى محمد، "دور الحركة الصهيونية في قيام الكيان الإسرائيلي بفلسطين 1917 – 1948 م"، مجلة أفاق فكرية، ع 01، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، ديسمبر2013، ص38.

10- تعود نشأة هذه العائلة على المغزل اليهودي القذر والمكتظ بالسكان في مدينة فرانكفورت في القرن الثامن عشر، حيث كانت أغلب مدن أوروبا تحتوي مثل هذه المعازل اليهودية .ينظر: عبد الله عبد الأمير، أل روتشيلد والوطن القومي لليهود، مركز البيدر للدراسات والتخطيط، العراق، 2023، ص02.

11- {24 مارس 1795 – 16 أكتوبر 1847 } كان حاخام ألماني أرثوذكسي عبر وجهات النظر من منظور ديني لصالح استيطان اليهود في أرض فلسطين، فقد رأى أن الهجرة اليهودية والاستيطان بفلسطين تأدية لفريضة دينية على اليهود القيام بها.

12- عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط 10، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990، ص ص 24، 25.

13- كانت البديشية لغة يهود أواسط أوروبا وهي أقرب إلى الألمانية وإن احتوت العديد من العبارات العبرية.

14- عبد الوهاب ألكيالي، المرجع السابق، ص ص 26، 27.

15- علوي البراري، الصهيونية، إسرائيل، والعرب مئة عام من الصراع، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2021، ص17.

16- إسلام شحدة العالول، المرجع السابق، ص 68.

17- إسلام شحدة العالول، المرجع السابق، ص 62.

18- إسلام شحادة العالول، المرجع السابق، ص ص 68، 69.

19- عبد الوهاب الكيالي، المطامع الصهيونية التوسعية، مركز الأبحاث، بيروت، 1966، ص 22.

20- إسلام شحدة العالول، المرجع السابق، ص 68.

21- حسين أوزدمير، فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني، دار النيل، القاهرة، مصر، 2013، ص 102.

22- حسين أوزدمير، المرجع السابق، ص ص 103، 104.

23- عثمان وقاسم وآخرون، دراسات فلسطينية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ص 48.

24- 23 دياب محمود، الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر، مطبوعات الشعب، {د-ب}، 2002، ص 15.

25- القطلي أحمد أريج، فلسطين في مجلة المنار، بحث ماستر في التاريخ، جامعة غزة، كلية الآداب، 2015، ص 77.

26- عمر الصالح ألبرغوثي، خليل طوطح، المرجع السابق، ص 25.

27- حسين أزدمير، المرجع السابق، ص 150.

28- حسين أزدمير، المرجع السابق، ص 157.

29- علي حسن الحلاق، المرجع السابق، ص 228.

30- نصيرات فدوى، السلطان عبد الحمد ودوره في تسهيل السيطرة على الصهيونية على فلسطين 1876 – 1909 م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014، ص 41.